



# كلمة

## سكة بين «السنة» و«الشيعة» قبل أن يفوتنا القطار

**بعد** مقالة «قديسون، أبطال، خونة ومطاران» (العدد رقم 42)، كتب أحد أحفاد آل سيفيا من عكار مؤكداً أن العائلة لا تزال موجودة لكن بأسماء مختلفة، شاكرًا نفي تهمة العمالة عن أجداد العائلة أو على الأقل التشكيك بجذبتها، ومؤكداً أن «الحقيقة» تشير إلى «عمالة» فخر الدين الذي يبدو، رغم زواجه عنوةً بانتهام، لم تنصبه «جرثومة» الوطنية. وفي انتظار أن يتصل أحد أحفاد فخر الدين رداً على حفيد آل سيفيا، وجبت الزيادة في الشرح نحو أفاق أخرى أكثر عصرية.

كانت الشهيرة قد ذكرت أن لبنان 2007 قد يشهد «قيامه» أو «فعود» أو «نهاية» رئيسين للجمهورية وبرلمانين ووزارتين، فما الغرابة إذا كان لدينا مطاران، واحد في بيروت وآخر في عكار؟ إن «المخطط» الجيد سيسعى حكماً إلى تدعيم حكمه عبر إيجاد بدائل، وخاصة بعد أن شهد السهولة التي تم فيها إغلاق مطار بيروت في 23 كانون الثاني 2007. وإذا كان عصر الاتصالات والمواصلات انتقل تدريجياً من السفينة والعربة إلى القطار والطائرة، فنحن في العالم العربي انتقلنا فوراً من الجمل والحصان إلى القطار. وقد قام لورنس «العرب» بتلغيم خط سكة حديد قطار الحجاز بعد أن صادق الملك فيصل الأول. نحن اليوم في عصر الطائرة ونجاولنا الحاجة لسكة الحديد؛ فسكة حديد من عكار «السنية» إلى صور «الشيعة» تبدو عصبية على الحكومة ومن شأنها إثارة المشاكل، أما مطار في بيروت وآخر في عكار فن شأنه «تدعيم» أو أصر القرى.

وحتى نأخذ حذرنا في حال سولت لأحدهم نفسه أن يشيد سكة حديدية، يمكننا العودة إلى لورنس الذي أعطى إرشاداته حول أفضل الأساليب في تلغيم سكة حديد الحجاز ومن رأس بعلبك إلى الصحراء العربية.

«... فأتجهت غرباً إلى رأس بعلبك في العاشر من حزيران وقمت بتفجير عارضة صغيرة. وكان التأثير على المرور ضعيفاً جداً بيد أن متاوله بعلبك تحمسوا جداً وأنا فعلت ذلك من أجل إثارة تمهم. ولقد اكتشفنا أن صوت انفجار الديناميت هو الخطوة الأكثر فعالية لإثارة البلبله. وبعد تجارب طويلة وجدنا الوسيلة الأخص والأكثر فعالية لتفجير سكك حديدية».

هكذا، وقبل احتلال جورج بوش للعراق بصمت إيراني وبالتحالف مع بعض القادة الشيعة فيه، سبقه لورنس إلى فحص مدى استعداد الشيعة (الماتولة) في رأس بعلبك، على سبيل المثال، للثورة على تركيا «السنية» التي ميزت ضدّهم.

ومنذ ذلك الحين، لم يقم الملوك والرؤساء العرب، من أصدقاء لورنس السابقين واللاحقين وحتى المغالين بالقومية العربية وبالاسلام من «أعدائه»، بأية مساعي جدية لإعادة سكة حديد الحجاز (أو سكك حديد أخرى) إلى العمل، ولم يقوموا بإرساء بنية اجتماعية وسياسية لدولة عصرية.

لقد كما ولا تزال أوفياء لتركه لورنس العرب. وقد قام عام الأثار هذا، الجاسوس الثائر الكاتب، بانتقاد حكومته بخصوص العراق.

«إن الإنكليز أرسلوا إلى بلاد ما بين النهرين ووقعوا في فخ لن يكون من السهل الهروب منه بكرامة وشرف. لقد خدعوا من خلال حجب دائم للمعلومات. فالبيانات التي تصدر من بغداد تصل متأخرة ومنافقة وغير كاملة. تم توزيع إعلان جديد عن الحكم الذاتي صادراً من بغداد».

تقول إننا في بلاد ما بين النهرين لإنشاء المنطقة لصالح العالم. إلى متى سيستمر قتل عشرات آلاف القرويين وأهل الضيع هذا الصيف بإعاقة إنتاج الفصح والقطن والزيت؟ إلى متى سنظل نسمح بالضحية بملايين الباوندات وآلاف الجنود البريطانيين وعشرات الآلاف من العرب نيابة عن شكل من أشكال الإدارة الاستعمارية التي لا تحدم إلا أربابها؟»

صفحة 4  
استطلاع للرأي: نصر الله وعون في المرتبة الأولى ولكن إلى تراجع  
وجمع إلى تقدم عند الموازنة  
البنانيون متفائلون رغم الهجرة والشرح والخوف من عودة الحرب الأهلية

صفحة 15  
موازنة العام 2006،  
محاولة لتفريب إصلاحات جزئية قد لا تتحقق

صفحة 17  
هل هناك استعداد لعودة الحرب؟

صفحة 18  
نصاب جلسة انتخاب الرئيس  
الثلاثين أساساً وحيد منذ 1943

صفحة 19  
المراسم الاحتفالية  
كثرت في عهد الرؤساء شهاب وسركيس والجميل وغابت بعد اتفاق الطائف

صفحة 22  
مجالس النواب في ست دول عربية

صفحة 24  
الدولة تبغ فضلات أملاكها

صفحة 27  
63 مليار ليرة عائدات الدولة من اليا نصيب  
اللوتو يتقدم واليا نصيب يتراجع والراج من؟

صفحة 28  
الشيعة  
بين التقليد وولاية الفقيه

صفحة 29  
طائفة الروم الأرثوذكس

صفحة 32-33  
اكتشف لبنان  
سردا والعمر - بشوات

صفحة 34-35  
وثائق تاريخية  
«ما أشبه اليوم بالأمس»  
أحداث 1840 التي مهدت لمجزرة صيف 1860

صفحة 36-37  
تحقيق  
الجامعة الأميركية في بيروت  
طلاب «علمانيون» عادة وطائفون خلال الانتخابات

صفحة 38-39  
صناعات وحرف  
الحرف اللبنانية:  
بيت شباب تقص جرس الإنذار

صفحة 40  
حوار  
«الشهيرة» تحاور مديرة «أمديست» في لبنان، باربارا بتلوني

صفحة 41  
دول عربية  
القطاع الصحي في سورية  
نجاح في صناعة الأدوية ونقص في الخدمات الصحية

صفحة 42  
دول عربية  
القطاع الصحي في مصر  
ضعف الاستعداد لمواجهة النمو السكاني



سكة الحديد في طرابلس اليوم (2006)  
تصوير: وضاح جمعة



سكة الحديد في طرابلس حوالي العام 1920  
مجموعة بدر الحاج

ولكن أحداً من أصدقائه الملوك والرؤساء السابقين واللاحقين العرب لم يجرؤ (وحتى لتاريخه) على أن يواجهه ولو «تقداً بناءً» إلى الحكومات البريطانية. لقد كما ولا تزال أوفياء لتركه لورنس العرب.

وكذلك انتقد حكومته بخصوص سايكس-بيكو:

«في الحقيقة، هذه الاتفاقية لا تسام على المستقبل السياسي للمحافظات العربية فحسب، بل أيضاً تعرّض السلام في الشرق الأدنى والأوسط للخطر وستؤدي إلى فوضى محلية خطيرة والتي يوافق الجميع أنها ستنتشر في كردستان وبلاد ما بين النهرين وفلسطين وربما في أنحاء العالم العربي».

وحتى عندما أعرب لورنس العرب عن شكوكه حول الأسباب الجغرافية لاتفاقية سايكس-بيكو، كان همّ الساسة في هذه البلدان، وحتى المغالين في إسلامهم و«سنيتهم»، تأكيد مواقفهم في الدول المنشأة حديثاً.

لقد كما ولا تزال أوفياء لتركه لورنس العرب.

أما في ما يتعلق بوعود بريطانيا فقد قدم لورنس اعتذاراً:

«كتب لورنس أن الحكومة البريطانية جعلته يصدق أنها قصدت الالتزام بوعودها إلى العرب، وأنه بسبب اقتناعه بذلك قام بتشجيع العرب. وتمنى أن يقول للعرب وللشعب البريطاني أنه أسف لما فعله لأنه من الواضح أن الحكومة لم تكن تنوي أن تلتزم بالوعود التي سمحت له أن يقوم بها إلى العرب».

ولكن أحداً من أصدقائه الملوك والرؤساء العرب السابقين واللاحقين لم يجرؤ (وحتى لتاريخه) أن يقرأ هذا الاعتذار.

لقد كما ولا تزال أوفياء لتركه لورنس العرب، قبل اعتذاره فقط.

وما علاقة هذا بمطار آل سيفيا في عكار؟

لم تكن المسألة في الماضي قومية عربية ضدّ خلافة إسلامية ولا إسلام بوجه الشيوعية، بل مصالح تمظهرها في ديولوجيات فتوّسّس لحروب وجروح لا تندمل. وهي اليوم ليست بين «سنة» و«شيعية»، بل حفلة تنكر عنيقة جديدة تذكرنا بلورنس. فالبلد الذي يعجز عن بناء سكة حديدية بين عكار وبيروت لن يقدر على تحمّل مطارين. وغداً حين تبرز جغرافيا الكاتونات وتغزير التحالفات، قد يكون هناك حاجة لمطار ثالث «تدعيماً للسلم الأهلي»، ولكننا لن نشهد قطاراً من حلبا إلى صور. وإن وجدت هذه السكة فوصفة تلغيمها كتبها لورنس السكوتلندي، الإنكليزي، الأيرلندي، الدورسي، العربي. وهذه الوصفة قرأها الجميع. ولكن أحداً من هؤلاء الملوك والرؤساء العرب، أصدقاء لورنس السابقين واللاحقين (ولتاريخه)، لم يقرأ ولم «يعرف» أن السيد بلفور «نسي» أن يدعو ممثل الحجاز (الملك فيصل الأول وهو أحد أحفاد رسول الله و«قاهر» تركيا العثمانية وصدّق الإنكليز الأول والموقع مع حاييم وايزمن إتفاقية لإنشاء موطن لليهود في فلسطين) إلى مائدة المفاوضات في باريس في الثامن عشر من كانون الثاني 1919. التقاه لورنس هناك وهو «يتجول في أرجاء الفندق الساعة الثانية صباحاً»... متسائلاً عن مكانه ومكانته بين من خيل له أنهم أصدقاء. إنه الفراغ تملأه تركيا وإسرائيل وإيران (وامتداداتهم غرباً وشرقاً) بعد أن أحدثته شبكة المصالح الدولية مع أنظمة عربية تستدعي الدعم الخارجي لتستمر.

وهكذا، لا تزال قصة نهاية فيصل واعتذار لورنس سرّاً يعرفه جيداً جمال باشا وبلفور وجورج بوش وصادق حسين وأحمد نجاد وبجمله كثيرون في «الموالة» و«المعارضة». قريباً سيفوتنا القطار جميعاً وما من فندق ولا بهو ولا وطن.